تراث سامراء

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بدراسة
تراث سامراء المشرفة

تصدر عن

العتبة العسكرية المقدسة

مركز تراث سامراء

العدد الثالث- السنة الثانية
(٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ)

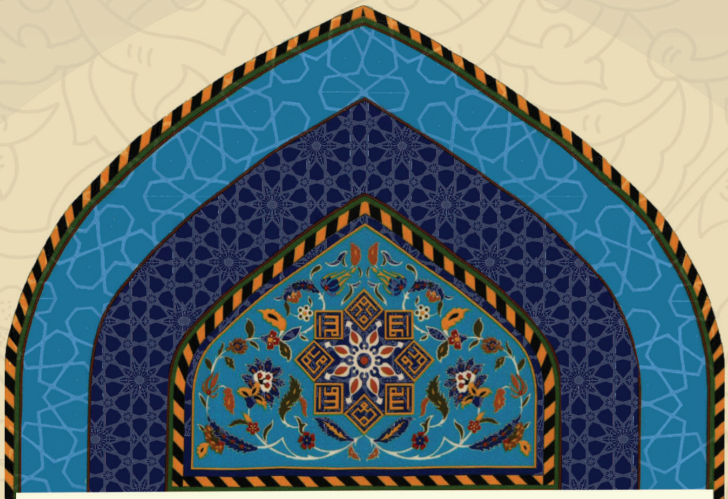

سامراء في شعر السيد حيدر الحلي

Samarra in Saed Hayder Al-Hily's Poetry

السيد مهدي السيد هاشم الحكيم

Al-Saed Mahdi Al-Saed Hashim Al-Hakim

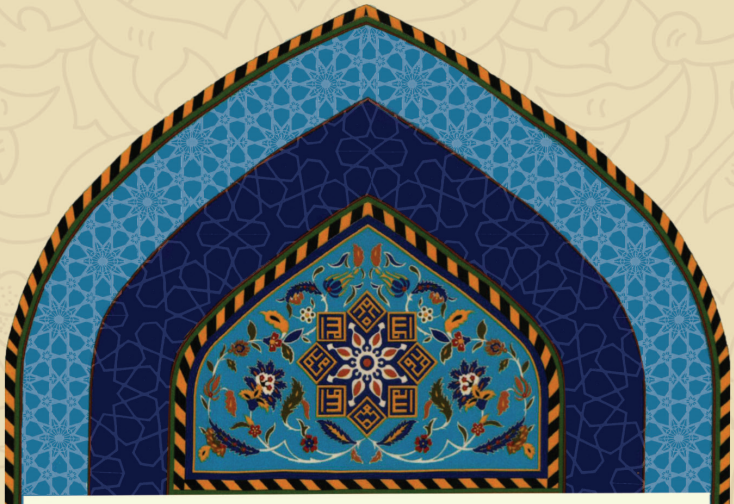

سامراء في شعر
السيد حيدر الحلي

الملخص:

كانت سامراء بالنسبة للشاعر السيد حيدر الحلي المنبع أو المصدر الذي يستقي منه إيحاءاته وخواطره الشعرية، فاتجه صوب الإمام الحجة عليه السلام، فهو يمثّل له الروح التي تبعث فيه الإيحاءات والخواطر، فسامراء يشمّ منها رائحة النبوة المتمثّلة بالإمامين العسكريين والإمام الحجة الحاضر الغائب المنتظر عليهم السلام، فكان المكان يمثّل له المصدر الذي يستمد منه طاقته الشعرية التي تبعث في نفسه كلّ تلك الإبداعات في قصائده، وخاصة ما كان منها في استنهاض الإمام الحجة عليه السلام، أو رثاء باقي أئمة الهدى من آل بيت الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين).

الكلمات المفتاحية:

سامراء، الإمام الحجة (عج)، السيد حيدر الحلي، الشعر.

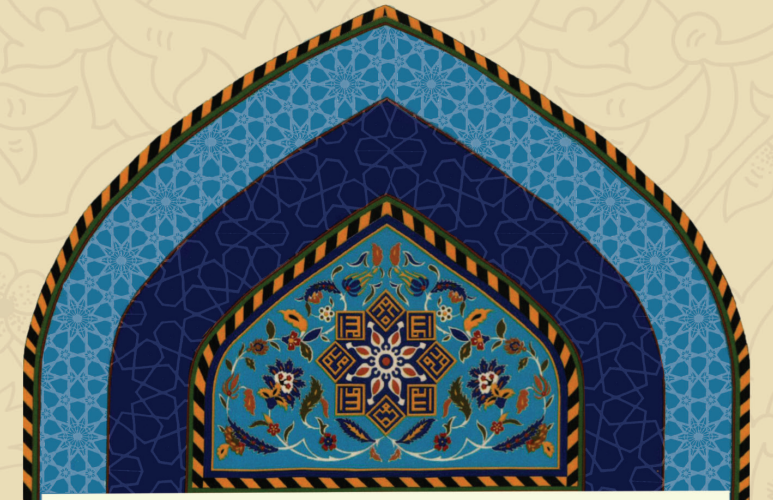

Samarra in Saed Hayder Al-Hily's Poetry

Abstract:

Samarra for Hayder Al-Hily is the source of his emotions and his poetic thoughts. He turns to write about Imam Al-Huja (PBUH) because he represents the the spirit that resurrects ideas and inspiration. The poet smells from Samarra the fragrance of prophethood represented by Al-Askari two imams and the master of time (PBUT). The place charges the poet with poetic energy, which motivates all these innovations in his poems especially that recalls Imam Al-Mahdi (PBUH) or laments the martyrdom of other imams of prophet's household (PBUT).

key words:

Samarra, Imam Al-Huja (PBUH), Al-Saed Hayder, poetry.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

المقدمة

كان الشعر ـ ولايزال ـ فضلاً عن كونه وسيلة يبث من خلالها الشاعر شجونه وهمومه وآلامه، بل يصور من خلاله وجوده وكيانه وقدراته، فضلاً عن ذلك كلّه، كان الشعر - لا أقل عند الإسلاميين ومن جاء بعدهم - يمثل لسان الإعلام المكافح والمدافع عن العقيدة والمبدأ. وذلك ما يمكن أن نستفيده من قول النبي الأكرم ﷺ لحسان: «لاتزال ـ ياحسان ـ مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»؛ وإذا أخذنا بعين الاهتمام قيد (مانصرتنا بلسانك) الأمر الذي شكل معه الشعر سيف الإعلام المشهور ضد البغي والجور والطغيان على مرّ العصور، فسجل لنا التاريخ أسماء عدد من الشعراء امتازوا بتوظيف شعرهم في نصرة الحق ومكافحة الباطل وأهله، حتى أثر عن دعبل الخزاعي أنه قال: (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي ولاأجد من يصلبني عليها). ومن هؤلاء الصفوة من الشعراء الأديب (السيد حيدر الحلي) الذي من يسبر شعره لايعدو الحقيقة إن عدَّه مؤيَّداً بروح القدس، إذ حقق (عليه الرحمة) الشرط في كلام النبي ﷺ، فقد نصر، بل سخّر جلّ شعره لنصرة الدين المتمثل بامتداد النبي الأكرم ﷺ، ولا سيما الأئمة الذين تشرفت سامراء المدينة أن تكون مسرحاً لوجودهم الشريف، وميداناً لفيوضاتهم الإلهية المباركة، ومن هنا أفرد الحلي لها مساحة واسعة من أدبه، وكان لها أثر واضح في شعره.

المحور الأول

أولاً: التشيّع والشعر

غير خاف على أهل التتبع والبحث أن علاقة الشعر مع التشيع علاقة وطيدة وعتيدة، فقد تولدت هذه العلاقة بينهما منذ سنيّ الإسلام الأولى، وكان للأحداث والنوازل دور كبير في تمتين وتوثيق الروابط بينهما، ومن أهم هذه الأحداث: استشهاد الإمام الحسين في كربلاء وما جرى عليه وعلى أهله وصحبه من كوارث وفجائع ومصائب، فقد فجرت هذه الأحداث المروعة والمفجعة قرائح الشعراء من الموالين لآل البيت، وجادوا بأغلى قلائد الدرر الأدبية، وصاغوا أروع الفرائد الحسينية ليتغنى بها الأجيال إلى يومنا هذا

وحتى يوم القيامة.

وبمرور الأيام وتوالي محن الزمان وتجذر الآلام والعلاقة بين الشعر والتشيع تتمازج، وأصبح الشعر عندهم يعني: الثورة على الظالم ونصرة المظلوم والدفاع عن العقيدة والولاء والانتماء... الخ من الأغراض الجادة الملتزمة.

ومن أهم خصائص هذا الشعر هو: صدق العاطفة الولائية لشعرائه الذين كانوا (لا كغيرهم من الشعراء) مطاردين ومحاسبين ومعرّضين للقتل والاعتقال، ومن جهة أخرى كانوا متهمين بسبب هذا الولاء وذياك الانتماء، وما قول الكميت إلّا شاهد على ذلك:

بأيّ كتاب أم بأيــّة سُنَّةٍ

ترى حبّهم عاراً عليّ وتحسبُ

في الوقت الذي تجد من يُسبّح ويمجّد باسم السلطان تنثر عليه الجواهر وتنهال عليه الجوائز، وشتان بين مستجدٍ بشعر ومجاهد فيه، وكان للعراق والعراقيين السهم الأوفر والحظ الأكبر في إخراج و(إنتاج) القوافل تلو القوافل من شعراء التشيع.

نعم، العراق، وما أدراك ما العراق؟ حيث الحب والولاء وصدق العاطفة والانتماء لآل البيت النجباء.

لقد كان شعراء العراق ناراً حامية تلفح الظالمين والمستبدين، وقد أرخصوا جماجمهم، وحملوا أرواحهم على أكفِّهم في سبيل هدفهم الأسمى، ولا يخفى أنَّ من أهم مزايا الشعر الشيعي سمو هدفه وصدق عاطفته.

لذلك ترى كلما ارتوت أرض العراق من دمائهم إذا بها تثمر من جديد بجيل جديد لا يقل عن الأول حماسة وولاء[1].

وفي الحلة السيفية، تلك المدينة الغافية على ضفاف الفرات تجد حناجر الأدباء تصدح من رجال أشرِبوا حب آل بيت النبي، وأصوات الشعراء تصدح بذكر الآل الميامين، فكان شعرهم جارفاً متلاطماً كنهر الفرات اذا طغى وهاج وزمجر، فكان الصفيّ الحلي، وعلاء الدين الحلي، والشفهيني الحلي... إلى أن تصل عجلة الزمن للقرن الثالث عشر من الهجرة النبوية المباركة، ومن بيت من أرفع بيوتات الحلة وأبرزها علماً وأدباً يعلو

(١) الشاكري، حسين، علي في الكتاب والسنة والأدب، ص٣٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

صوت وليد جديد بالبكاء لتشريفه إلى عالم الدنيا، ولكنه بعد سنوات سوف يُبكي بشعره الملايين من عالم التشيّع مما في شعره من ثورة وصورة، وأعني بالصورة الرسم الفني لفاجعة كربلاء، حيث عندما تستمع إلى شعره تتسلل إلى مخيلتك صور الفرسان المحتدمة، والدماء السائلة، والنساء المعولة.. الخ من صور المأساة.

ثانياً: ولادته

وُلِد السيد حيدر الحلي في يوم ١٥ شعبان لسنة ١٢٤٦هـ قبل وفاة والده بمدة قصيرة، إذ توفي الوالد السيد سليمان الصغير[١] بالطاعون عام ١٢٤٧هـ وعمره آنذاك خمس وعشرون عاماً، معقِّباً طفله الوحيد الذي لم يُكمل عامه الثاني، وهو السيد حيدر الحلي.

وقد اهتم به بعد وفاة والده عمُّهُ السيد مهدي، فكان ربيب حجره؛ إذ كفله فكان له أباً ومهذِّباً، وقد صرّح بذلك السيد حيدر الحلي بذلك في قصيدته التي رثاه بها وكان مطلعها[٢]:

أظُبى الردى أنصلتي وهاكِ وريدي
ذَهَبَ الزمانُ بِعُدَّتي وعديدي

وعندما وُلِد هذا الشاعر ولدت معه المواهب والملكات الأدبية الخلاّقة لما تميزت به أسرته من شموخ في الشعر ورّقة في الأدب من جهة الآباء والأجداد والأعمام. فالأسرة جميعها متلفعة بوشاح الأدب عموماً والشعر الولائي خصوصاً، والبيئة ـ من قبل ـ سابقة إلى ذلك المضمار وسبّاقة فيه، والمواهب والاستعدادات الذهنية للوليد الجديد متفتحة ومستعدة لنيل المعالي وركوب المراقي، فلا عجب أن يكون السيد حيدر الحلي «ناعية الطف» كما قرأناه وسمعناه.

حاز محبة واحترام علماء عصره ومشاهير وقته، ومن أبرز الشخصيات التي نال حبها واحترامها هو الإمام الشيرازي قدس سره فقد (كان يستدعيه إلى سامراء ليستمع إلى شعره ويتلذذ بمجلسه)[٣]، وقد نقلوا شاهداً على ذلك التقدير والتبجيل من قبل المرجع الأعلى ـ آنذاك ـ الإمام الميرزا

(١) لُقِّب بالصغير تمييزاً له عن جده الأكبر السيد سليمان الكبير، وقد وُلد السيد سليمان الصغير سنة ١٢٢٢هـ، ودرس على والده السيد داود بن سليمان الكبير وعمه السيد عبد الحسين، وابتدأ يقول الشعر وهو ابن اثني عشر عاماً.

(٢) اليعقوبي، البابليات، ج٢، ص٦٩.

(٣) الأوردبادي، موسوعة الأوردبادي، ج١١، ص٦٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

الشيرازي لشخص شاعر أهل البيت السيد حيدر الحلي القصة التالية:

(كانت بين السيد حيدر الحلي والعلاّمة الحجّة السيد إسماعيل الشيرازي مودة أكيدة غير منفصمة العُرى، فصادف أنّه أرفد سيدنا المترجم له في أحد وفَدَاتِهِ بعشرين ليرة ذهبية، فاستنزرها السيد إسماعيل وقال: انه شاعر أهل البيت عليهم السلام ولا يبلغ شأوَهُ مثل الحميري، وأبي نؤاس، ودعبل، وكان أئمة الهدى عليهم السلام يقدمون لهم الصُّرَرَ والبِدَر. فاستخبره سيدنا المترجم له عن وجه الحيلة ؟ فأشار بتدارك الأمر بأن يصله هو بمئة ليرة، فزار هو قدس سره السيد حيدر بنفسه ووصله بالمال)[١].

ولا عجب من ذلك ولا غرابة، حيث إن المكرَّم هو السيد حيدر الحلي وكفى، والمكرِّم هو المرجع الأعلى الميرزا الشيرازي الراعي للأدب والأدباء والعلم والعلماء والباعث فيهم نفحة الإبداع والتجديد، وما بين الاثنين هو الشاعر باللسانين (العربي والفارسي) السيد إسماعيل الشيرازي الصديق الحميم للسيد حيدر الحلي وابن عم الإمام الشيرازي. صاحب قصيدة:

رغــدُ العيشِ فزدْهُ رغــدا
بسُلافٍ منك تشفي سقمي

حيث ألقاها بمناسبة مولد الإمام علي عليه السلام في سامراء وبحضور المجدد الشيرازي حتى قيل إنه (من كثرة شغفه بالقصيدة وافتتانه بها كلما ألقيت في المجالس قام وقعد واضعاً يديه على رأسه وهو يقول (أي والله أي والله)[٢].

ومن دلائل تقدير وتبجيل الإمام الشيرازي للسيد الحلي أنه أمر بتعطيل المدارس والمعاهد الدينية في سامراء والنجف ثلاثة أيام حداداً عليه وإقامة مجلس العزاء له في مدرسته، وهذا لا يحصل إلّا عند وفاة مجتهد كبير من ذوي الزعامة الدينية.

ثالثاً: أقوال العلماء فيه

تميّز السيد حيدر الحلي بموهبة شعرية كبيرة، ويشهد بذلك ديوانُهُ الكبير الذي تنوّعت أغراضه بين المديح والرثاء والغزل والوجدانيات والمراسلات وغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى، وقد مدحه عددٌ كثيرٌ من العلماء والأدباء إعجاباً منهم بشخصيته وشاعريته، منهم السيد محمد

(١) الأوردبادي، المصدر السابق، ج١١، ص٦١.

(٢) الأنصاري، الشيخ مرتضى، المكاسب، ج١، ص ١٣٦ .

القزويني (ت ١٣٣٥هـ) حين قال له: (أنت أشعر الطالبيين)[١]، وقال له السيد ميرزا صالح القزويني (ت ١٣٠٤هـ): (إنّ رثاءَك يُحبِّب إلينا الموت) [٢]، ويعلّق السيد مضر الحلي بقوله: (وهذه العبارة وإن لم تكن مبتكرة إلّا أنّ العلّامة السيد القزويني لو لم يجدها مناسبة مع السيد حيدر لما قالها فيه) [٣].

وفيه قال الميرزا حسين النوري: (إنّه إمام شعراء العراق، بل سيد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق والمؤيَّد من عند الملك العليّ)[٤]، وهذا إنما مصدره من كثرة مراثي السيد حيدر الحلي في آل البيت عليهم السلام وخاصة في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في طفِّ كربلاء؛ إذ أبدع فيها أيَّ إبداع ولازالت قصائده تتلى على صهوات المجد في كلّ عاشوراء، لذلك ذكره السيد محسن الأمين بقوله بأنّه (فاق شعراء عصره في رثاء الحسين عليه السلام) [٥].

(١) السيد حيدر الحلي شاعر عصره، ص٤١.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلي، ج ١، ص ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢.

(٤) النوري، الميرزا حسين، جنة المأوى، ص١٦٠.

(٥) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٦، ص ٢٦٦.

وذكره الدكتور جواد أحمد علوش بأنّه (إذا دخل مجلساً نهض له كلُّ مَنْ فيه إجلالاً له وإعظاماً لمنزلته، وكانت الولاة والأمراء الأتراك يحترمونه ويقدرونه، فكثيراً ما كان المصلح الكبير مدحت باشا يُراسله ويسأل عنه ويستفسر عن صحته ويبعث بالتحيات الحارة إليه)[٦].

لقد كانت شاعرية السيد حيدر الحلي وبيانه العالي موضع اهتمام العلماء والخطباء وقد ذكره الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله تعالى) بقوله: (يظل شعر السيد حيدر الذي تحتدم أجواؤه بما لا يسع البيان تصوره من الأبعاد الملتهبة)[٧]، وذلك أنّ جذوة اللوعة والبكاء على الحسين هي التي أثارت تلك النواعي، فملأت أجواء الواقعة الحسينية بما لا يمكن تصوّره في بيان إلا في من سكنت قلبه تلك الآهات والآلام.

المحور الثاني

أولاً: شعره

تميّز شعر السيد حيدر الحلي بأنه متعدّدُ الأغراض والأساليب، وبسمو

(٦) علوش، جواد أحمد، أدب الحلة، ص ٨٩.

(٧) الوائلي، الشيخ أحمد، تجاربي مع المنبر، ص ٣٢٩.

مجلة تراث السماوة
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

البيان في تصوير الأحداث وما يختلج في نفسه، ويمتاز أسلوبه ـ كما يقول د. جواد علوش ـ بأنّه (بيِّنٌ واضحٌ، فهو جزل رصين قوي متين، ديباجته مشرقة لمّاحة، وألفاظه موسيقية الرنين سلسلة منسابة سهلة منتقاة. وأما الأغراض التي طرقها حيدر في شعره، فمعظم أغراضه التي عرضها شعراء العرب، كالحماسة والرثاء والمديح والهجاء والغزل والعتاب والأخوانيات)[١]، فكان في كلّ غرض منها فارسه الذي لا يُغْلَب، وبيده منه الكأس الأوفى، فضلاً عن ذلك كان يُعدُّ والسيد الحبوبي من خير شعراء العراق في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان ممن يهذّب شعره ويُعنى به، فقصائده كحوليات زهير بن أبي سلمى؛ إذ كان كثيراً ما يديم النظر فيها ويطيل التأمّل ويهذبها ويعرضها على النقاد، وقد يدوم عاماً كاملاً [٢]، ومما يُلفت النظر إليه في ديوانه ما يأتي [٣]:

١- تعدّد الأغراض الشعرية وجودته فيها من مديح ورثاء ووجدانيات وتهانٍ وحماسة وموشحات وتقاريض وغيرها.

٢- كان في كلّ هذه الأغراض الفارس المجلّى، ولذلك فضّله بعضُ أعلام عصره على كثير من الشعراء العظام كالشريف الرضي ومهيار وكشاجم.

٣- يُوْصَف شعره بتوفِّر فن الإعجاز فيه، فهو الجديد دائماً مهما تقادم العهد عليه.

٤- لغته الشعرية لغة رصينة، وتمتاز بقوة السبك في عباراته وسمو المعنى، وإنما جاء ذلك من قراءته منذ نعومة أظفاره دواوين الشعراء القدامى واستيعابه لها وحفظها.

ثانياً: آثاره العلمية:

ترك السيد حيدر الحلي فضلاً عن ديوانه الكبير بعض المؤلفات المهمة، هي[٤]:

١- العِقْدُ المفصّل في قبيلة المجد المؤثل، وهو كتاب أدبي ممتع فيه كثير من النكت الأدبية وأخبار الشعراء والأدباء.

٢- دمية القصر في شعراء العصر (مخطوط)، جمع فيه نيفاً وثلاثين شاعراً من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري في مديح الحاج محمد صالح كبة البغدادي وأولاده ورثاء والده.

(١) علوش، المصدر السابق، ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٣) ديوان السيد حيدر الحلي، ج١، ص١٢-١٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٥ـ١٦.

٣- الأشجان في مراثي خيرِ إنسان (مخطوط)، جمع فيه مراثي صديقه العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني.

ثالثاً: وفاته

توفي (رحمه الله تعالى) في الليلة التاسعة من ربيع الأول من سنة ١٣٠٤هـ، وشُيِّع جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف في موكب مهيب ضمّ العلماء والسادات والأدباء والأعيان من النجف والحلة، ودُفن فيما يلي رأس الإمام علي عليه السلام تحت ميزاب الذهب، وقد عُطِّلت الدراسة في الحوزة العلمية في النجف وسامراء بأمر المرجع الديني الكبير السيد حسن الشيرازي، ورثاه كبار شعراء عصره كالسيد إبراهيم الطباطبائي والسيد محمد سعيد الحبوبي من النجف، والشيخ حمادي بن نوح والشيخ حسون بن عبد الله من الحلة، وغيرهم[١].

رابعاً: شعر السيد حيدر الحلّي في سامراء

السيد حيدر الحلّي هو شاعر أهل البيت، وشعره يصدح بحبهم وولائهم، وقوافيه تنزف ألماً وحزناً لرثائهم، فمن الطبيعي أن نجد لسامراء بما حوته من مراقد شريفة للأئمة الطاهرين ومقام يذكرنا بغيبة بقية الهداة من الآل المنتجبين، وكذلك بما فيها من معاهد علم وعلماء ومدارس شريعة لعلوم السادة النجباء أن نجد لهذه المعاني بما تضمّه من معان مساحة مهمة في شعره ووجدانه.

فنجده يتصيَّد المناسبات بأفراحها وأحزانها وكراماتها ومعاجزها كي يتغنى بذكر سامراء ويترنم بذكر السادة النجباء، ففي المبعث النبوي ٢٧ رجب الأصب، وهي مناسبة بعثة رسول الله إلى الخلق أجمعين، تراه بعد مدحه لسيد البشر صلى الله عليه وآله يعرج على سامراء قائلاً:

ثم نادي القبةَ العليا وقل

طاولي يا قبةَ (الهادي) السماءا

بمعالي العسكريين اشمخي

وعلى أفلاكها زيدي علاءا

واغلبي زهر الدراري في السنا

فبك العالم ـ لا فيها - أضاءا

خطَّك الله تعالى دارة

لذكاءَي شرف فاقا ذكاءا

وبنا عرَّج على تلك التي

أودعتناعندها (الغيبة) داءا[٢]

(١) ديوان السيد حيدر الحلي، ج ١، ص١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص٣٠.

وعندما انتهى إلى سمعه أنّ كرامةً[١] حصلت للإمام المنتظر حيث أطلق الله ـ جل ذكره ـ لسان رجل أخرس ببركة صاحب العصر والزمان المتولد في سامراء والغائب فيها ومنها، فهبّ الشعراء يتبارون في تسجيل هذه المعجزة وكان في مقدمتهم السيد حيدر الحلي، فهنا نجده يبادر إلى ذكر سامراء وذكر صاحب الكرامة الإمام المنتظر، وهو لا ينسى ذلك الجبل الأشم والبحر الخضم المتربع على دست الزعامة الدينية للطائفة الشيعية نزيل سامراء ألا وهو الإمام الميرزا الشيرازي قدس سره .

وقد أُقيم احتفال سرور وبهجة في صحن الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء وزيّنوه بالسُرُج والمصابيح، وقال السيد الحلي: لمّا هبّت من الناحية المقدسة نسمات كرم الإمامة، فنشرت نفحات عبير هاتيك الكرامة، فأطلقت لسانَ زائر من اعتقاله عندما قام ملحفاً في تضرُّعه وابتهاله، أحببتُ أن أنتظم في سلك مَنْ خدم تلك الحضرة في نظم قصيدة تتضمن بيان هذا المعجز ونشرهِ، وأن أهنِّئ علّامة الزمن وغرة وجه «الحَسَن»، فرع الأراكة المحمدية، ومنار الملة الأحمدية، علم الشريعة وإمام الشيعة؛ لأجمع بين العبادتين في خدمة هاتين الحضرتين، فنظمتُ هذه القصيدة الغرّاء، وأهديتُها إلى دار إقامته وهي سامراء، راجياً أن تقع موقع القبول، فقلتُ ومن الله بلوغ المأمول[٢]:

كذا يظهرُ المعجزُ الباهرُ
فيشهَدُهُ البرُّ والفاجرُ
ويروي الكرامةَ مأثورةً
يُبلِّغها الغائبَ الحاضرُ
يَقَرُّ لقومٍ بها ناظرٌ
ويقذى لقومٍ بها ناظرُ

إلى أن يقول:

فمن (صاحب الأمر) أمس استبان
لنا معجز أمره باهرُ
بموضع غيبته قد ألم
أخو علة داؤها ظاهرُ
رمى فمه باعتقال اللسان
رامٍ هو الزمن الغادرُ
فاقبل ملتمساً للشفاء
لدى من هو الغائبُ الحاضرُ
ولقّنه القولَ مستاجر
عن القصد في أمره جائرُ

فهو يثني مهنئا سامراء وذاكراً

(١) ديوان السيد حيدر الحلي، ج ١، ص٤١ .

(٢) الأوردبادي، المصدر السابق، ج١٢، ص٣١٠ ـ ٣١٣، وينظر: ديوان السيد حيدر الحلي، ج ١، ص٥٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

عَلَمَها السيد (الحسن) المجتبى

وهنّ بها (سُرَّ مرا) ومن
به ربعها آهِلٌ عامـــرُ

هو السيد (الحسن) المجتبى
خضم الندى غيثه الهامرُ

وقل: يا تقدست من بقعة
بها يغفر الزلة الغافرُ

كلا اسميك للناس بادٍ له
بأوجههم أثر ظاهرُ

فأنت لبعضهم «سُرَّ مَنْ
رأى» وهو نعت له زاهرُ

وتراه ﷺ ذاكراً جدَّهُ الإمام الحجة في جميع المناسبات، ففي ميلاده (عج) تجده جذلاً مسروراً مهنئاً الإمام الشيرازي بهذه المناسبة الطيبة بقوله:

بشرى فمولد صاحب الأمر
أهدي إليك طرائف البشر

وبطلعة منه مباركة
حيّ بوجهك طلعة البدر

وكساك أفخـر خلعـة مكثت
زمنا تنمقها يد الفخر

هي من طراز الوحي لا نزعت
عن عطف مجدك آخر العمر

وإليك ناعمة الهبوب سرت
قدسيّة النفحات والنشر[١]

ومناسبة أخرى لذكرى الميلاد الميمون تسمعه يقطر من سلسال أدبه الماتع المانع فرائداً من لمع الأدب سكبها في قالب العشق والولاء:

هي دار (غيبته) فحيّ قبابها
والثـم بأجفان العيون ترابها

ومنها:

سعدت (بمنتظر القيام) ومن به
عقدت عيون رجائـه أهدابها

إلى أن يقول:

سعدت بمولده المبارك ليلةٌ
حدر الصباح من السرور نقابها

وزهت به الدنيا صبيحة طرزت
أيدي المسرة بالهنا أثوابها

رجعت إلى عصر الشبيبة غضة
من بعد ما طوت السنين شبابها

فاليوم أبهجت الشريعة بالذي
ستنال عند قيامه آرابها

قد كدرت منه المشارب عصبة
جعل الإله من السراب شرابها[٢]

ولكنك عندما تسمعه ﷺ مستنهضاً الإمام الحجة (عج) وراثياً جده الحسين تحسبه ينثر أبياته قطعاً من كبده وأجزاءً من قلبه المتيم الحزين على مصائب آبائه

(١) ديوان السيد حيدر الحلي، ج١، ص٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤.

الكرام.

فهو عندما يرثي جده الحسين بقصيدة مطلعها:

كم توعد الخيل في الهيجاء أن تلجا
ما أن في جريها أن تلبس الرهجا
وكم قنا الخط كف المطل تفطمها
ما أن ترضع الأحشاء والمهجا
وكم تعلل بيض الهند مغمدة
عن الضراب ولما تعترق ودجا
يا ناهجاً في السرى قفراء موحشة
ما كان جانبها المرهوب منتهجا
صديان يقطع عرض البيد مقتعدا
غوارب العيس لم يقعد بهن وجا[1]

سرعان ما يستنهض جده صاحب الأمر مخاطباً له:

يا مدرك الثأر كم يطوي الزمان على
إمكان إدراكه الأعوام والحججا

وفي مرثيته الحسينية التي سار بها الركبان وحدا بها الزمان فكانت بجدارة نشيد الأيام والأعوام، حيث يبتدئ السيد الحلي رائعته الأدبية باستنهاض الحجة ويختمها باستنهاضه واستذكاره مصائب أبيه الحسين عليه السلام وهي:

الله يا حامي الشريعة
أ تقرُّ وهي كذا مروعة
بك تستغيث وقلبها
لك عن جوى يشكو صدوعه
تدعو وجرد الخيل مصغية
لدعوتها سمعية
وتكاد ألسنة السيوف
تجيب دعوتها سريعة
فصدورها ضاقت بسر
الموت فأذن أن تذيعه[2]

وفي رائعة أخرى بل لمعة من لمعه الأدبية التي يستهلها:

إن ضاع وترك يا ابن حامي الدين لا
قال سيفك للمنايا كوني
أو لم تناهض آل حرب هاشم
لا بشرت علوية بجنين
أ معلل البيض الرقاق بنهضة
في يوم حرب بالردى مشحون

تجده يستنهض الإمام المنتظر بروح مشحونة بالحماسة والثورة على الظالمين:

كم ذا تهزّك للكريهة حنّة
من كلّ مشجية الصهيل صفون
طال انتظار السمر طعنتك التي

(١) ديوان السيد حيدر الحلي، ج١، ص٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص١٢٧.

مجلة تراث إسلامية
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

تلد المنون بنفس كلّ طعين[١]

وعندما يرثي جدَّه أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين، فهو يفتتح ويستهل موهبته ورائعته باستنهاض الحجة بن الحسن عليه السلام:

أقائم بيت الهدى الطاهر
كم الصبر فتّ حشا الصابر
وكم يتظلم دين الإله
إليك من النفر الجائر
يمد يداً يشتكي ضعفها
لطبك في نبضها الفاتر
نرى منك ناصره غائبا
وشرك العدى حاضر الناصر
فنوسع سمعك عتباً يكاد
يشيرك قبل ندا الآمر[٢]

وعندما تقع حوادث مهمة في الفرات ويقابلها الوالي العثماني (عمر باشا) بالعنف فهو يسجل هذه الماسي بمقطوعة حزينة أولها:

يا غمرة من لنا بمعبرها
موارد الموت دون مصدرها
يطفحُ موجُ البلا الخطير بها
فيغرقُ العقل في تصوّرها
وشدَّةً عندما انتهت عِظَماً
شدائد الدهر مَعْ تكثرها
ضاقت ولم يأتها مُفرِّجها
فجاشت النفسُ في تحيّرها
الآنَ رجسُ الضلالة استغرق
الأرض فضجَّت إلى مطهّرها[٣]

وبعد أبيات قليلة تتوق نفسُهُ إلى التسلّي بندب إمام زمانه فيقول:

من مخبري والنفوس غائبة
ماذا يؤدي لسان مخبرها؟
لم صاحب الأمر عن رعيته
أغضى فغصّت بجور أكفرها؟

وفي سنة (١٢٩٨هـ) اجتاح العراقَ وباءٌ أضَّرَ بالنسل والحرث والزرع فيهرع السيد الحلي إلى التوسّل بصاحب الزمان قائلاً[٤]:

يا ابن الإمام العسكري ومن
ربّ السماء لدينه انتجبه
أ فهكذا تغضُّ وأنت ترى
نار (الوباء) تشبُّ ملتهبه

(١) ديوان السيد حيدر الحلي، ج ١، ص١٦١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣.

إلى قوله:

غضب الإله وأنت رحمتــه

يا رحمة الله اسبقي غضبـه

نعم، ونحن الآن في سنة ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م من شهر ذي القعدة الحرام، ومنذ ستة أشهر والعالم بأسره يعاني من (جائحة كورونا / كوفيد ١٩) وقد أضَّر بأحوال الناس وألزمهم البيوت وأقعدهم عن أعمالهم وأشغالهم، ونحن نخاطب الإمام الحجة (عج) مستدرّين عطفه ولطفه قائلين له:

غـضـب الإلـــه وأنـــت رحمـتـه

يـــا رحمـــة الله اســبـقـي غضبه

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

الخاتمة

أدرجُ في أدناه أهم النتائج التي توصّل إليها البحث:

١- كان للبيئة التي عاشها الشاعر السيد حيدر الحلي أثر في نبوغه الشعري المبكر، فقد عاش في بيئة علمية أدبية ألهمته حب الشعر والأدب.

٢- كان للمكان أثر في تفجير طاقاته الشعرية؛ إذ كان يستلهم من مدينة سامراء طاقاته الشعرية؛ لذا تميّز شاعرنا كثيراً في قصائده المخصصة في استنهاض الإمام الحجة عليه السلام.

٣- هذه الروح الوثّابة لدى السيد حيدر الحلي المتأثرة بآل البيت عليهم السلام جعلت من قصائده مثار إعجاب العلماء والأدباء في عصره حتى عدّوه بمقام الشريف الرضي وغيره من عظماء الشعراء في العصور المتقدمة.

٤- كانت أغلب قصائده في الغزل أو الوجدانيات يغلب عليها طابع الحزن الشفيف تأثّراً منه بمصائب آل البيت عليهم السلام.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

المصادر

١) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق حسين الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٦٦.

٢) الأنصاري، الشيخ الأعظم مرتضى، ت (١٢١٤هـ - ١٢٨١هـ)، المكاسب، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

٣) الأوردبادي، العلّامة الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي ت (١٣٢١ ـ ١٣٨٠هـ)، موسوعة العلّامة (حياة الإمام المجدد السيد محمد حسن الحسيني الشيرازي)، جمع وتحقيق سبط المؤلف السيد مهدي آل المجدّد الشيرازي، بنظر ومتابعة مركز إحياء التراث، العتبة العباسية المقدسة، مطبعة الكفيل، كربلاء، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥ م، ج١١.

٤) الأوردبادي، العلّامة الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي ت (١٣٢١ـ ١٣٨٠هـ)، موسوعة العلّامة الأوردبادي (سبائك التبر)، جمع وتحقيق سبط المؤلف السيد مهدي آل المجدّد الشيرازي، بنظر ومتابعة مركز إحياء التراث، العتبة العباسية المقدسة، مطبعة الكفيل، كربلاء، ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م، ج١٢.

٥) ديوان السيد حيدر الحلي (المتوفى سنة ١٣٠٤هـ)، تحقيق د. مضر سليمان الحلي - منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى المحققة ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١ م.

٦) الشاكري، حسين، عليّ في الكتاب والسنة والأدب، مراجعة فرات الأسدي، مطبعة ستارة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٧) علوش، جواد أحمد، أدب الحلة، إخراج وتحقيق، صباح نوري المرزوك، ٢٠١٢م.

٨) النوري، ميرزا حسين، جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ١٩٩٢م.

٩) الوائلي، الشيخ أحمد، تجاربي مع المنبر الحسيني، دار الزهراء، بيروت ـ د.ت.

١٠) اليعقوبي، الشيخ محمد علي، (ت١٣٨٥هـ)، البابليات، تحقيق محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي،

مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

مجلة تراث السيد هاشم الحكيم
العـــدد: الثالث
الســـنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م